View metadata, citation and similar papers at core.ac.uk
brought to you by CORE
provided by Pusat Jurnal UIN Ar-Raniry (Universitas Islam Negeri)

Jurnal Ilmiah **ISLAM FUTURA**
Vol. 20. No. 2, Agustus 2020, 135-152

Al-Tāsāmuḥ al-Islāmī fī al-Futūḥāt al-Islāmiyyah; Fatḥ Miṣr Namūdzaj

التسامح الإسلامي في الفتوحات الإسلامية؛ فتح مصر نموذجا

Mukhamad Hadi Musolin Subagio
Universiti Islam Antarabangsa Sultan Abdul Halim Mu'adzam Shah (UniSHAMS), Malaysia
*e-mail: mdmusolin@unishams.edu.my

Rido Uwais Hasan Surur
Universiti Islam Antarabangsa Sultan Abdul Halim Mu'adzam Shah (UniSHAMS), Malaysia
e-mail: redaowis@unishams.edu.my

Abstract

The story of the Islamic conquest of Egypt is one of the most exciting episodes of Egyptian history. Not because of the events and battles that accompanied the conquest, but rather because of the enormous effects and developments that have resulted in the history of Egypt and its people in terms of religion, language, culture, etc. As for the march of conquest, the conduct of armies, and the war against the soldiers, they were subjected to many statements by historians, and there were conflicting reports about the conquest of Egypt, and was this conquest reconciled with a covenant, or by force? The way Egypt was conquered went in a way that contrasts with its conquests in the City of Shams and others. Also, the march of opening Egypt was subjected to multiple suspicions and myths that have no basis, some were able to attach to the history of the Islamic conquests of Egypt, but Allah defended the conquests through the writings of Muslim and non-Muslim scholars. This paper comes to reveal aspects of greatness in Islamic tolerance with the Christians of Egypt, which was their main reason for converting to Islam. This study used the historical, critical and analytical method to present facts and discuss ideas. Among the most important results: the proof of tolerance in theory and in reality concerning the conquest of Egypt, the conversion of Egyptians to Islam because of its grace and ease, and rejecting the myth of the march of the Islamic conquest of Egypt from the beginning to the end.

Keywords: *Egypt history; tolerance; critical history method*

Abstrak

Sejarah penaklukan Islam di Mesir merupakan episode sejarah Mesir yang banyak menarik perhatian. Hal ini bukan disebabkan peristiwa dan peperangan yang terjadi dalam penaklukan tersebut, akan tetapi karena kesan yang muncul dari proses penaklukan yaitu perubahan besar yang terjadi pada sejarah Mesir dan rakyatnya dari segi agama, bahasa, pengetahuan dan lain sebagainya. Para ahli sejarah berbeda pendapat berkaitan peristiwa penaklukan tersebut, apakah dilakukan dengan cara damai ataukah melalui kekerasan. Peristiwa penaklukan Islam di Mesir berbeda dengan penaklukan Islam atas kota Syam dan yang lainnya. Banyak isu-isu tidak berdasar dilemparkan, akan tetapi Allah telah membersihkan peristiwa penaklukan wilayah yang dilakukan Islam pada umumnya melalui penulisan-

* Corresponding author, email: mdmusolin@unishams.edu.my

Citation: Subagio, Mukhamad Hadi Musolin, and Rido Uwais Hasan Surur. "Al-Tāsāmuḥ Al-Islāmī Fī Al-Futūḥāt Al-Islāmiyyah; Fatḥ Miṣr Namūdzaj." *Jurnal Ilmiah Islam Futura* 20, no. 2 (2020): 135–152.

https://doi.org/10.22373/jiif.v20i2.5808
©Universitas Islam Negeri Ar-Raniry. All rights reserved.

penulisan ahli sejarah Islam dan bukan Islam. Artikel ini bertujuan untuk mengungkapkan kehebatan toleransi Islam terhadap orang-orang Nasrani di Mesir yang menjadi faktor utama mereka memeluk Islam. Dalam kajian ini, penulis menggunakan metode sejarah kritis dan analisis. Hasil terpenting dalam kajian ini adalah terbuktinya toleransi Islam secara teori dan praktis dalam peristiwa penaklukan negara Mesir. Banyak sekali penduduk Mesir yang memeluk Islam dikarenakan faktor toleransi Islam tersebut. Kajian ini juga membuktikan bahwa semua tuduhan dan pandangan negatif terhadap sejarah penaklukan Islam atas Mesir adalah tidak benar dan tidak memiliki bukti yang kuat.

Kata kunci: *Sejarah Mesir; toleransi; metode sejarah kritis*

مستخلص

إن قصة الفتح الإسلامي لمصر من أشد حلقات التاريخ المصري إثارة، ليس بسبب ما صاحب الفتح من أحداث ومعارك، وإنما بسبب ما نتج عنه من آثار وتطورات هائلة في تاريخ مصر وشعبها من حيث الدين، واللغة، والثقافة... إلخ . أما عن مسيرة الفتح، وسير الجيوش، ومحاربة الجند فقد تعرضت لأقاويل كثيرة من المؤرخين، وتضاربت الأنباء حول فتح مصر، وهل كان هذا الفتح صلحاً بعهد، أو عنوة بسيف؟ فقد مضت طريقة فتح مصر بطريقة تغاير ما سبقها من فتوحات في الشام وغيرها. وكذلك تعرضت مسيرة فتح مصر لشبهات متعددة، وخرافات لا أصل لها ، استطاع البعض أن يلصقها بتاريخ الفتوحات الإسلامية لمصر، ولكن الله قيض من دافع عن الفتوحات من المسلمين، ومن غير المسلمين .وتأتي هذه الورقة لتكشف جوانب العظمة في التسامح الإسلامي مع نصارى مصر؛ مما كان سببًا رئيسًا في إسلام القبط ودخولهم في الإسلام. وقد استخدمت المنهج التاريخي والنقدي والتحليلي في عرض الحقائق ومناقشة الأفكار. وكان من أهم النتائج :ثبوت التسامح نظريًا وواقعيًا في فتح مصر، وتحول المصريين إلى الإسلام بسبب سماحته ويسره، ودفع الشبهات عن مسيرة الفتح الإسلامي لمصر من البداية إلى النهاية.

الكلمات الرئيسيّة: تاريخ مصر؛التسامح الإسلامي؛ المنهج التاريخي والنقدي

المقدمة

لقد انتظر المصريون الفتح العربي الإسلامي، الذى استمعوا إلى أخباره، وسماحته في البلاد المجاورة انتظار الأرض الهامدة للماء، حتى إذا ما جاءها اهتزت وربت. يقول الدكتور جوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب) : ".. ولقد أكرهت مصر على انتحال النصرانية، ولكنها هبطت بذلك إلى حضيض الانحطاط الذي لم ينتشلها منه سوى الفتح العربي، وكان البؤس والشقاء مما كانت تعانيه مصر التي كانت مسرحاً للاختلافات الدينية الكثيرة في ذلك الزمن. وكان أهل مصر يقتتلون ويتلاعنون بفعل تلك الاختلافات، وكانت مصر التي أكلتها الانقسامات الدينية، وأنهكها استبداد الحكام تحقد أشد الحقد على سادتها الروم، وتنتظر ساعة تحريرها من براثن قياصرة القسطنطينية الظالمين." (1). وقبل الحديث عما حدث على أرض مصر، وما أتبع ذلك من نتائج تلت الفتح الإسلامي أحب أن أذكر **أولاً**: إن اختلاف وجهات نظر المؤرخين لفتح مصر كان اختلافاً بيناً، تأثر في بعض الأحيان بموقف هؤلاء المؤرخين من الإسلام، أو بسبب انتماءاتهم السياسية، أو العسكرية والدينية. ولذلك يحسن أن

(1) حضارة العرب جوستاف لوبون صـ 250 نقله إلى العربية محمد عادل زعيتر القاهرة دار إحياء الكتب العربية 1945م ، و الإخوان و الأقباط من يطمئن من عامر شماخ صـ 38 مكتبة وهبة الطبعة الأولى 1429هـ - 2008م.

نذكر هنا وقبل البدأ في قصة الفتح شيئاً عن الفلسفة الإسلامية للفتح الإسلامي، ثم نتبعها بشهادات غربية، ومسيحية عن طبيعة هذه الفتوحات.

" إن الفتح الإسلامي {بشكل عام} لم يكن فتحاً لتحقيق أهداف إمبراطورية، أو سياسية، أو استراتيجية لتكوين دولة عظمى تكون عاصمتها مكة أو المدينة.. بدليل ضمور نفوذ مكة والمدينة بعد الفتوحات مباشرة، وانتقال الثقل السياسي إلى دمشق في عصر الأمويين، وإلى بغداد في عصر العباسيين، ثم إلى القاهرة في عصر الفاطميين، إلى أن انتهى إلى الآستانة في عصر العثمانيين... وكان مواطنوا الجزيرة العربية في جميع العصور متساوين في مرتبة المواطنة —بل ربما أقل– مع مواطني هذه العواصم الجديدة —دون أي شعور بالضيق– لأنهم كانوا يعتبرون أنفسهم مواطنين في الدولة الإسلامية بغض النظر عن جنسية العاصمة.
إنه لم يكن فتحاً في أصله بهدف الجباية واستنزاف الثروات لصالح هذه العواصم الإسلامية، بدليل أن عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي عنف عامله على مصر وهو حيان بن شريح عندما اشتدّ على الناس في هذه الجباية، وقال له: (لقد بعث الله محمدا ε هادياً، ولم يبعثه جابياً).

كما كان الفتح الإسلامي يهدف إلى نشر الدعوة الإسلامية، فمن دخل الإسلام أصبح مواطناً في الأمة الإسلامية، ومن أراد أن يبقى على دينه يدفع الجزية مقابل الزكاة عند المسلمين، ومقابل الدفاع عنه في وطنه، أما القتال فكان مقصوداً به مجرد إسقاط النظام الحاكم الذي يحول بين الفتح الإسلامي وتوصيل الدعوة الإسلامية للشعوب المحكومة. وهذا ما حدث في مصر فعلاً. وبعدها لم يفرض الإسلام على أحد، فالمقوقس ظل على مسيحيته، وكذلك كل من أراد من أقباط مصر البقاء عليها، بدليل وجود الدين المسيحي بتابعيه، وكنائسه، وأساقفته في مصر حتى الآن." (2).
وبهذا لم تعرف الفتوحات الإسلامية طمعاً في الثروات، ولا في ضم البلاد إلى نظام حكمها، أو خلافتها، وإنما كانت لتحرير الناس من الظلم، وخلع الحكم المتسلط على الشعوب، القاهر لدينها، المانع لها من التحرر، أو محاولة الدخول في دين آخر، أو بلوغ الدعوة الإسلامية.

البحث

لم يعرف التاريخ فاتحين متسامحين مثل العرب:

وهذه جملة من الشهادات عن سماحة الفتوحات الإسلامية عامة ، وبخاصة عن فتح مصر تثبت ذلك:–

فقد كتب المسيحيون في الشام إلى أبي عبيدة وهو معسكر في فحل يقولون: "يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم، وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا، وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا، ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا" (3).

وأغلق سكان حمص أبواب مدينتهم حتى لا يدخلها جيش هرقل، وأعلموا المسلمين أن ولايتهم وعهدهم أحب إليهم من ظلم الرومان وتعسفهم. (4).

ويقول المؤرخ والفيلسوف الفرنسي جوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب متحدثاً عن عدل الفاتحين وسماحتهم:" كان يمكن أن تعمي فتوح العرب الأولى أبصارهم، وأن يقترفوا من المظالم ما يقترفه الفاتحون عادة، ويسيئوا معاملة المغلوبين، ويكرهوهم على اعتناق دينهم الذي كانوا يرغبون في نشره في العالم... ولكن العرب اجتنبوا ذلك، فقد أدرك الخلفاء السابقون — الذين كان

(2) من القبطية إلى الإسلام قصة فتح مصر حامد سليمان صـ 36 – 38 باختصار شديد.
(3) فتوح الشام محمد الأزدي البصري صـ 97 نقلاً عن: سماحة الإسلام د أحمد الحوفي صـ 186 المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة التعريف بالإسلام القاهرة 1420هـ 1999م.
(4) نفس المرجع صـ 186.

عندهم من العبقرية السياسية ما ندر وجوده في دعاة الديانات الجديدة– أن النظم والديانات ليست مما يفرض قسراً*، فعاملوا – كما رأينا– أهل سوريا، ومصر، وأسبانيا، وكل قطر استولوا عليه بلطف عظيم تاركين لهم قوانينهم، ونظمهم، ومعتقداتهم، غير فارضين عليهم سوى جزية زهيدة في الغالب إذا ما قيست بما كانوا يدفعونه سابقاً في مقابل حفظ الأمن بينهم. فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب، ولا ديناً سمحاً مثل دينهم." (5).

ويقول جيروم وجان تارو: " إن فضيلة التسامح التي كانت أزهى السمات الخلقية في العرب، والتي ندر أن تتوافر لغيرهم في جميع الأزمان، هذه السجية الكريمة قد أفادت العرب كثيراً، ولم يكن ليفيدهم ذكاؤهم الفطري، وذوقهم الفني ونزعاتهم لو لم يتميزوا بفضيلة التسامح." (6).

وهكذا شهد المستشرقون، وغير المسلمين بسماحة الفتوحات الإسلامية بصفة عامة في دول الشرق والغرب. فإذا ما جئنا إلى فتح مصر لن نجد هذا التسامح وفقط، بل نجد قمة التسامح، وروعة التعامل، وقوة الحب، وعظمة الاستقبال، وفرحة الالتقاء بين المسلمين والمصريين.

وهذه شهادة الأسقف يوحنا النقيوسي –الأسقف الأرثوذكسي، شاهد العيان على الفتح الإسلامي– قائلة: " لقد نهب الرومان الأشرار كنائسنا وأديرتنا بقسوة بالغة، واتهمونا دون شفقة، ولهذا جاء إلينا من الجنوب أبناء إسماعيل لينقذونا من أيدي الرومان، وتركنا العرب نمارس عقائدنا بحرية، ولم يأخذوا شيئاً من مال الكنائس، وحافظوا عليها طوال الأيام، وعشنا في سلام"(7).

وهكذا استخدم يوحنا النقيوسي لفظ {المنقذ} واصفاً الفتح الإسلامي لمصر، الذي أنقذ النصرانية الشرقية من قوة وبطش النصرانية الغربية.

وكتب ميخائيل الأكبر بطريق أنطاكية اليعقوبي في النصف الثاني من القرن الثاني عشر يشيد بمعاملة المسلمين للمسيحيين وقت الفتوحات الإسلامية للشام ومصر، فتحدث عن اضطهاد هرقل لأهالي الشام ثم قال: " .. وهذا هو السبب في أن إله الانتقام الذي تفرد بالقوة والجبروت، والذي يديل دولة الشر كما يشاء، فيؤتيها من يشاء، لمّا رأى شرور الروم الذين لجأوا إلى القوة فنهبوا كنائسنا، وسلبوا أديارنا في كافة ممتلكاتهم، وأنزلوا العقاب في غير رحمة ولا شفقة، أرسل أبناء إسماعيل من بلاد الجنوب ليخلصنا من قبضة الروم .. لم يكن كسباً هيناً أن نتخلص من قسوة الروم، وأذاهم، وحنقهم، وتحمسهم العنيف ضدنا، وأن نجد أنفسنا في أمن وسلام." (8).

فإذا كان يوحنا النقيوسي قد استخدم لفظ {المنقذ} فإن ميخائيل الأكبر بطريك إنطاكية اليعقوبي قد استخدم لفظ {المخلص} في الدلالة على طبيعة فتح مصر والشام، وأعظم بهما من دلالة وكسب غير هيّنين بالنسبة لهم ولغيرهم.

---

* الواقع أن هذا الإدراك من الخلفاء الأولين ليس راجعاً إلى مجرد عبقرية سياسية كما ذكر الكاتب، بل إلى تعاليم الإسلام التي كانت هي الموجه الأول لهؤلاء الخلفاء، والتي علمتهم أن "لا إكراه في الدين"، وغرست فيهم روح العدل والسماحة المنقطعة النظير.

(5) حضارة العرب جوستاف لوبون صـ 605، وانظر: معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي د إدوار غالي الذهبي صـ 146 وما بعدها مكتبة غريب الطبعة الأولى 1993م، والأقليات الدينية والحل الإسلامي د يوسف القرضاوي صـ 49، 50 مكتبة وهبة الطبعة الأولى 1417هـ – 1996م، والإسلام وأهل الذمة د علي حسن الخربوطلي صـ 104 وما بعدها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة التعريف بالإسلام، الكتاب التاسع والأربعون 1389هـ 1969م، و نصارى مصر بين الحقوق والواجبات د عبد الغفار عزيز صـ 55 دار الحقيقة للإعلام الدولي بدون.

(6) الغرب والشرق من الحروب الصليبية إلى حرب السويس (المرحلة الأولى) للأستاذ محمد علي الغتيت صـ 74، 75 نقلاً عن: الأقليات الدينية والحل الإسلامي د يوسف القرضاوي صـ 49 .

(7) تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي صـ 201، 202 ، و تاريخ مصر في العصر البيزنطي د صبري أبو الخير سليم صـ 62 طبعة القاهرة 2001م، و مقال للدكتور محمد عمارة تحت عنوان : حقيقة إسلام الشعب المصري جريدة المصريون الإليكترونية بتاريخ 2008/10/29م.

(8) الإسلام وأهل الذمة د علي حسن الخربوطلي صـ 104.

وهكذا اتضحت طبيعة الفتوحات الإسلامية عامة، ومصر بصفة خاصة. وإليك ما حدث في فتح مصر، وكيف عاون أهلها الفاتحين العرب، وكيف سارت الأمور بعد ذلك:-

المبحث الثاني: فتح مصر ودفع الشبهات المثارة حوله

إذن الخليفة وفتح مصر:

قرر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فتح مصر، وأذن للصحابي الجليل عمرو بن العاص بالمسير إلى مصر في أواخر سنة 18 هـ، فسار إليها الجيش الزاحف بقيادة عمرو بن العاص، فأخذ طريقه إلى القاهرة حتى وصل في شتاء 640م – 19هـ وعرض على والي البلاد شروطه التي هي شروط المسلمين قبل كل قتال، وهي: الإسلام، أو الجزية، أو القتال.

أما الحاكم الروماني فقد قرر المقاومة، ورفض ما عرض عليه، واستعد للقتال، بل بادر المسلمين بالهجوم فعلاً إلا أنه انهزم، وارتد إلى الإسكندرية، فتعقبه العرب في مهربه، وزرع عمرو فرقه على جبهات عدة استطاع أن يحرز فيها جميعًا النصر بعد أن حاصر الروم في مواقعهم أياماً طويلة. (9).

" وحتى تعرف حدة الصراع، وشراسة القتال، وطول المحاصرات، وقوة التحصينات، وشدة المعاناة التي اكتنفت الفتح الإسلامي لمصر –مع ملاحظة وقوف الشعب المصري مع جيش عمرو بن العاص، وتركز الصراع والقتال ضد حاشيات الروم وحصونها- حتى تعرف مبلغ ذلك يكفي أن تتذكر أن الفتح الإسلامي للعراق والخليج وفارس، وأيضاً في كل أنحاء الشام، بما في ذلك المعارك الكبرى في {القادسية} و {أجنادين} و {اليرموك} تمت كلها في عام واحد (15هـ - 636 م)، بينما استغرق فتح مصر وحدها نحواً من أربع سنوات!..

بل إن فتح مدينة الإسكندرية وحدها قد استلزم حصاراً فرضه المسلمون عليها دام أربعة عشر شهراً، منها خمسة أشهر في حياة هرقل وتسعة بعد وفاته" (10). وأما المفاوضات بين المقوقس عظيم القبط وعمرو بن العاص قائد جيش الفتح فقد أفضت إلى صلح ناجز بين القبط الذين تعاقد المقوقس باسمهم، وبين عمرو بن العاص، وإلى صلح آخر غير ناجز، اقترحه المقوقس علي الروم ، وعلق إمضاءه على موافقة هرقل قيصر الروم . فأما صلح القبط فقد تم التعاقد عليه وإتمامه بين الطرفين-كما سيأتي- وأما صلح الروم فلم يوافق عليه هرقل، واختار القتال على الاستسلام كما مضى. (11).

هل كان فتح مصر صلحاً أو عنوة ؟

لقد اختلف موقف المصريين الأقباط عن موقف الرومان المحتلين للبلد، ومن هنا نشأ خلاف خاض فيه الكثيرون من المؤرخين مؤداه: هل كان فتح مصر صلحاً بعقد وعهد، أو كان عنوة بسيف وقتال؟ ولا بد لنا هنا أن نذكر أمراً وقع بالإسكندرية، وهو أن الروم عادوا إليها فأخذوها بعد ثلاث سنوات أو أربع من وقت مصالحة قيرس وتسليمه للعرب، ثم فتحها العرب مرة أخرى، وكان فتحها هذه المرة عنوة لا صلحاً. (12).

وهذه الحروب المختلفة، والعقود المتعددة مع أهل مصر جعلت المؤرخين يختلفون حول فتحها. فابن عبد الحكم في فتوح مصر والمغرب، وكذلك البلاذري في فتوح البلدان يذكران الأمرين دون ترجيح لأيهما على الآخر. (13).

---

(9) انظر في هذا: فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم (257هـ-871م) تحقيق عبد المنعم عامر صـ 81 وما بعدها الهيئة العامة لقصور الثقافة، و فتوح البلدان للبلاذري صـ 136، 137 بدون، و أهل الذمة في المجتمع الإسلامي د حسن علي حسن صـ 126 وما بعدها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة 1426هـ - 2005م، و عمرو بن العاص للعقاد صـ 70 – 77، و التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام محمد الغزالي صـ 175 وما بعدها نهضة مصر الطبعة الثالثة يناير 2003م.

(10) عندما دخلت مصر في دين الله د محمد عمارة صـ 31.

(11) انظر نفس المرجع صـ 38.

(12) فتح العرب لمصر ألفرد بتلر صـ 345.

(13) راجع: فتوح البلدان للبلاذري صـ 139، و فتوح مصر والشام لابن عبد الحكم صـ 129 وما بعدها.

وعند التحقيق لا بد أن نفرق بين مصر الأمة والشعب، ومصر الدولة البيزنطية المتسلطة "فمصر الأمة والشعب قد فتحت صلحاً، وحتى قبل تعاقد المقوقس عظيم القبط مع عمرو بن العاص على هذا الصلح – ومنذ أن عرف المصريون نبأ دخول عمرو بن العاص وجيش الإسلام إلى أرض سيناء– فالمصريون قد وقفوا يساندون الجيش الإسلامي الفاتح منذ معركة (الفرما) في شمال سيناء.

أما مصر الدولة البيزنطية فإنها هي التي فتحت، بل وقهرت عنوة وقتالاً، بل قتالاً شرساً، استغرق من الجيش الباسل، الذي ضم جمهرة من الأبطال من صحابة رسول الله £ ورضي عنهم وأرضاهم أربع سنوات، فكان أطول فتوح العنوة في تاريخ فتوحات الإسلام!" (14).

إن الأقباط المصريين رحبوا بالفتح العربي، الذي رأوا فيه خلاصاً من اضطهاد الروم البيزنطيين لهم، ولذلك راحوا منذ اللحظة الأولى يقدمون العون للفاتح العربي ضد المستعمر الروماني.

ذكر المؤرخ ابن عبد الحكم صوراً كثيرة لترحيب الأقباط بالعرب، فمما ذكره هذا المؤرخ : " وكان بالإسكندرية عند الفتح أسقف للقبط يقال له بنيامين، فلما بلغه قدومه –أي عمرو– إلى مصر كتب إلى القبط يعلمهم أنه لا يكون للروم دولة، وأن ملكهم قد انقطع، ويأمرهم بتلقي عمرو، فيقال: إن القبط الذين كانوا بالفرما كانوا يومئذ لعمرو أعواناً"، وذكر في مكان آخر من كتابه: " أن عمرو بن العاص قد خرج بالمسلمين حتى أمكنهم الخروج من حصن بابليون، ومعه جماعة من رؤساء القبط، وقد أصلحوا لهم الجسور وألأسواق، قاصدين الإسكندرية"(15).

وهذه عبارات صريحة، وكلمات واضحة لا تحتاج إلى تأويل، أو تحريف في شرح موقف الأقباط من الفتح "ولقد أوضح ابن عبد الحكم في شهادتيه أن الأقباط قدموا العون للعرب ... الذي تمثل في إصلاح الطرق، وإقامة الجسور والأسواق، حتى إذا صاحبوا العرب في حصار الإسكندرية قدموا الطعام للجند، والأعلاف للخيل."(16).

وإذا كان القبط قد فعلوا ذلك مع العرب فإن العرب قد حرصوا في العهد الذي أبرموه معهم على توفير كل سبل الحياة الكريمة لأقباط مصر، فهم أحرار في عقيدتهم، وشعائرهم، وسائر أمور حياتهم كما جاء في نص المعاهدة.

معاهدة مع أهل مصر:

هذا نص المعاهدة التي أبرمها عمرو بن العاص للصلح مع المصريين:

" بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم، وملتهم، وكنائسهم، وصلُبهم وبرّهم وبحرهم. لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص، ولا يساكنهم النوب. وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح ، وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف، و عليهم ما جنى لصوتُهم فإن أبى أحد منهم أن يجيب رُفع عنهم من الجزاء بقدرهم. وذمتنا ممن أبى بريئة، وإن نقص نهرهم من غايته إذا انتهى رُفع عنهم بقدر ذلك. ومن دخل في صلحهم من الروم والنوب فله مثل ما لهم، وعليه مثل ما عليهم. ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه، أو يخرج من سلطاننا. عليهم ما عليهم أثلاثاً، في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم. على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته، وذمة رسوله، وذمة الخليفة أمير المؤمنين، وذمم المؤمنين. وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأساً وكذا وكذا فرساً على أن

(14) عندما دخلت مصر في دين الله د محمد عمارة ص 49 باختصار.

(15) فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم ص 86، و مصر الإسلامية وأهل الذمة د سيدة إسماعيل كاشف ص 31 الهيئة العربية العامة للكتاب 1993م.

(16) مسلمون وأقباط من المهد إلى اللحد جمال بدوي ص 50، 51 دار الشروق الطبعة الأولى 1420هـ – 2000م.

لا يُغزوا ولا يُمنعوا من تجارة صادرة و لا واردة. شهد الزبير، وعبد الله، ومحمد ابناه، وكتب وردان وحضر." (17).

ولن أجد شرحاً وافياً لهذه الوثيقة أفضل مما ذكره شيخنا فضيلة الإمام محمد الغزالي حيث قال: " إن المبادئ المهمة التي تضمنتها هذه المعاهدة تعدّ صفحة جديدة في تاريخ العصور الوسطى. وهي على نسق المعاهدات التي أبرمها المسلمون مع كثير من الشعوب التي طردوا الفرس والرومان منها.

ويجب أن نقرر هنا بعض الأسباب التي جعلت المصريين يستريحون لهذا العهد المعروض عليهم ويمضونه راضين.

1- فقد استردت البلاد حريتها الدينية كاملة، ونالت ضماناً واضحاً أن تبقى للمعابد قداستها، فلا يقتحمها أحد، ولا تخدش شعائرها... وكان الأقباط محرومين من هذا الأمان في أثناء حكم الرومان، لاختلاف المذهب الديني، وإن انتمى الفريقان للنصرانية!.

2- خفّ حمل الضرائب التي يدفعها المصريون للحكومة الإسلامية. فإن تعداد مصر على عهد الفتح الإسلامي بلغ عشرة ملايين ساكن، وكان الحد الأعلى لضريبة الجزية خمسين مليوناً من الدراهم، أي أن متوسط ما يؤديه الفرد للحكومة خمسة دراهم في العام {نحو عشرة قروش} مع أن الرومان كانوا يستكرهون المصريين على دفع جملة أنواع من الضرائب الباهظة.

3 – يلاحظ أن هذه الضريبة كانت تنقص تبعاً لهبوط الفيضان، ولكنها لا تزيد عن النسبة المقررة، كما أنها تؤدى أقساطاً ثلاثة على مدى السنة.

4 – هذه المعاهدة معقودة مع المصريين الذين هم أصحاب البلاد. فإذا رغب روماني أو نوبي الدخول فيها فله حق المعاملة بالمثل، وإلا فعلى العرب أن يصونوا دمه، وحقوقه كلها حتى يبلغ المكان الذي يأمن فيه على نفسه، أو ينقطع عنده سلطانهم.

لا يجوز للمسلمين أن يمنعوا تجارة صادرة ولا واردة.

5- ويجب عليهم –لقاء الضريبة التي يحصلونها- أن يمنعوا أي غزو لمصر." (18).

كان هذا ما أعطاه عمرو بن العاص لأهل مصر من الأمان لأنفسهم، وأملاكهم، وكنائسهم ، وصلبهم على ما مضى ولم يكن هذا هو الموقف الوحيد في الإحسان إلى أهل مصر وقت الفتح ودخول الفاتحين المسلمين، ولكن كانت هناك العديد من المواقف الرائعة أختار منها هنا ما ذكره محمد حميد الله صاحب الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة الذي أتحفنا بنص كتاب عمر بن الخطاب في إطلاق السبايا المصريين الذين وقعوا في الأسر حيث قال:

كتاب عمر في إطلاق السبايا:

" عن زياد بن جَزءٍ الزبيديّ أنه كان في جند عمرو بن العاص حين افتتح مصر. قال: لما انتهينا إلى بلهيب، وقد بلغت سبايانا المدينة ومكة واليمن قال: فلما انتهينا إلى بلهيب أرسل صاحب الإسكندرية إلى عمرو، وسأله في رد السبايا... وأقمنا ننتظر كتاب عمر حتى جاءنا، فقرأه علينا عمرو بن العاص وفيه: **أما بعدُ : فإنه جاءني كتابك تذكر أن صاحب الإسكندرية عرض أن يعطيك الجزية، على أن تَرُدّ ما أصيب من سبايا أرضه. ولعمري لجزية قائمة تكون لنا ولمن بعدنا من المسلمين أحب إليّ من فيءٍ يقسم ثم كأنه لم يكن . فاعرض على صاحب الإسكندرية أن يعطيك الجزية، على أن تخيروا من في أيديكم من سبيهم بين الإسلام وبين دين قومه. فمن اختار منهم الإسلام فهو من المسلمين، له ما لهم، وعليه ما عليهم. ومن اختار**

(17) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة جمعها محمد حميد الله صـ 50، 51 دار النفائس الطبعة السادسة 1407هـ – 1987، و تاريخ الرسل والملوك أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (224-310 هـ) صـ 109 دار المعارف القاهرة الطبعة الرابعة، و البداية والنهاية لابن كثير (ت 774) جـ7 صـ98 دار ابن كثير بيروت لبنان، و الكامل في التاريخ لابن الأثير (630هـ) جـ 2 صـ 396 دار الكتاب العربي بيروت.

(18) التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام محمد الغزالي صـ 177، 178.

دين قومه وضع عليه من الجزية ما يوضع على أهل دينه. فأما من تفرّق من سبيهم بأرض العرب، فبلغ مكة والمدينة واليمن، فإنا لا نقدر على ردّهم، ولا نحب أن نصالحهم على أمر لا نفي به." (19).

بهذه الرقة والسماحة والوضوح تعامل الغالب مع المغلوب؛ ليثبت له أنه لم يأت طمعاً في ثرواتهم وممتلكاتهم، بل ليخلصهم من الظلم والفساد، ويحقق فيهم عدل الله. فلما رأى القبط هذه السماحة طمعوا في ما لم يحلموا به من قبل، فذهبوا إلى عمرو يتمنون ما يريدون بين يديه. " فسار إلى عمرو منهم سبعون ألفاً* حفاة الأقدام بثياب ممزقة، يحمل كل واحد منهم عكازاً – بسبب الآلام التى عانوا منها بسبب الاضطهاد الديني الروماني– فتوجس منهم عمرو، وأقلقه هذا التجمع الغفير من الأقباط. ولكنهم تقدموا إليه وطلبوا منه أن يمنحهم حريتهم الدينية، ويأمر برجوع بطريركهم الشرعي بنيامين، فأجاب عمرو إلى طلبهم، فازداد هؤلاء ثقة به، ومالوا إليه." (20).

أمان عمرو لبنيامين:

لما علم عمرو من هؤلاء الرهبان، ومن غيرهم بقصة بنيامين، الذي هرب لمدة ثلاث عشرة سنة، عشر منها في حكم الرومان، والثلاث الباقية مدة فتح العرب لمصر إلى أن استتب لهم الأمر، كتب عمرو أماناً لعماله على الأقاليم لينتشر خبر الأمان؛ لأن مكان بنيامين لم يكن معروفاً جاء فيه: " **أينما كان بطريق القبط بنيامين نعده الحماية، والأمان، وعهد الله، فليأت البطريق إلى هنا في أمان واطمئنان لِيَلِيَ أمر ديانته، ويرعى أهل ملته.**" (21). وهكذا عاد الأمان لهذا البطرك الهارب منذ ثلاثة عشر عاماً على يد الفاتحين المسلمين، ولعل هذا كان له سبب كبير في فرحة الأقباط، وحبهم للمسلمين، وقد جاء هذا في خطبة بنيامين بعد عودته حيث قال:

" كنت في بلدي وهي الإسكندرية، فوجدت بها أمناً من الخوف، واطمئناناً بعد البلاء، وقد صرف الله عنا اضطهاد الكفرة وبأسهم –يقصد الرومان– ثم وصف قومه بأنهم فرحوا كما يفرح الأسخال* إذا ما حلت لهم قيودهم، وأطلقوا ليرتشفوا من ألبان أمهاتهم." (22). " ويذكر ساويرس أنه كان من نتائج عودة بنيامين إلى كرسي البطريركية أن رجع كثير من المصريين إلى المذهب الأرثوذكسي بعد أن كانوا قد نبذوه نتيجة لاضطهاد هرقل، كما عاد الذين كانوا قد اختفوا خوفاً من هذه الاضطهادات. وبعد أن تمّ لبنيامين لمّ شمل قومه من القبط اتجه إلى بناء ما كان هرقل قد هدمه من الكنائس والأديرة." (23). أي أن المذهب الأرثوذكسي الذي كان مضطهداً قد بدأ يستعيد مكانته في ظل الحكم الإسلامي، بل وراحوا يبنون ويجددون ما تهدم من كنائسهم أيام الظلم والعسف والاضطهاد.

" وهكذا كرّس الفتح الإسلامي لمصر إحياء، وازدهار وبقاء أعرق الكنائس الوطنية للنصرانية على الإطلاق، وظل ذلك شاهد صدق على ما مثله الإسلام في مصر من الإحياء الديني لمطلق الدين، وليس فقط لدين وشريعة الإسلام." (24).

ومع هذه السماحة الرائعة للفتوحات الإسلامية في مصر، التي لم يشهد الأعداء بمثلها لأحد إلا أن مسيرة الفتح قد تعرضت لشبهات كان من أهمها: القول بإحراق مكتبة الإسكندرية.

---

(19) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة محمد حميد الله ص 506.

G ربما كانوا 70 أو 700 وبالغ المؤلف في العدد. المهم أن الرواية صحيحة.

(20) من القبطية إلى الإسلام قصة فتح مصر حامد سليمان ص 62، و فتح العرب لمصر ألفرد بتلر ص 455.

(21) فتح العرب لمصر ألفرد بتلر ص 455، و المسيحية والإسلام في مصر ودراسات أخرى د وليم سليمان قلادة ص 17 سينا للنشر الطبعة الثانية 1993م.

G الأسخال: صغار النعام.

(22) فتح مصر د جمال عبد الهادي ص 43، 44، وأهل الذمة في المجتمع الإسلامي د حسن علي حسن ص 128.

(23) مصر الإسلامية وأهل الذمة د سيدة إسماعيل كاشف ص 33.

(24) عندما دخلت مصر في دين الله د محمد عمارة ص 54.

أسطورة حريق مكتبة الإسكندرية :

" يتهم بعض المستشرقين الأوروبيين عمرو بن العاص بأنه أحرق بأمر الخليفة عمر بن الخطاب مكتبة مدينة الإسكندرية، التي كان قد أسسها بطليموس الأول، والتي كان يستفيد منها كثير من العلماء والطلاب، والتي كانت تحتوي على آلاف الكتب النادرة، وعلّلوا ذلك بأن هذه الكتب كانت تحوي من التعاليم المسيحية ما يخالف الإسلام، واستند هؤلاء المستشرقون في هذا الاتهام الباطل إلى ما قاله الرحالة عبد اللطيف البغدادي(25) الذي زار مصر بين سنتي 595– 598هـ وإلى ما جاء في كتاب أبي الفرج الملطي(26) فقد ذكر عبد اللطيف البغدادي أنه قد سمع بوجود مكتبة ضخمة في الإسكندرية قبل الفتح الإسلامي، ولكنه لم يجد هذه المكتبة عند زيارته لها، ثم اتهم عمرو بن العاص بإحراقها." (27).

ويذكر أبو الفرج أيضاً أن عمرو بن العاص أرسل كتاباً إلى عمر يسأله في الأمر، فأجابه عمر قائلاً: { وأما ما ذكرت من أمر الكتب فإذا كان ما جاء بها يوافق ما جاء في كتاب الله فلا حاجة لنا به، وإذا خالفه فلا أرب لنا فيه وأحرقها}. فلما جاء هذا الكتاب إلى عمرو أمر بالكتب فوزعت على حمامات الإسكندرية؛ لتوقد بها، فما زالوا يوقدون بها ستة أشهر. (28).

ولا بد لنا هنا أن نتتبع هذه القصة لنثبت حقيقتها، إذ إنها لو صحت لهدمت جزءاً كبيرا من سماحة المسلمين، وعدلهم مع المغلوبين وثقافاتهم، وهذا ما لم يحدث.

ونحن هنا نهدم هذا الاتهام الظالم بأدلة تاريخية، وأخرى منطقية، وأدلة قياسية:–

أولاً : الأدلة التاريخية :

1 – لم يذكر المؤرخون العرب المشهورون، الذين نعتمد على رواياتهم في دراساتنا للتاريخ الإسلامي شيئاً عن هذا الاتهام، مثل الطبري، وابن الأثير، والبلاذري، وابن عبد الحكم، وغيرهم.

2 – إن قصة إحراق العرب لها لم تظهر إلا بعد نيف وخمسمائة عام من وقت الحادثة التي ذكرت.

3 – إن الرجل الذي تذكر القصة أنه كان أكبر عامل فيها وهو{حنا الأجرومي} أحد سكان الإسكندرية، وأحد أساقفتها قد مات قبل مجئ العرب بزمن طويل.

4 – إن القصة قد تشير إلى واحدة من مكتبتين: الأولى: مكتبة المتحف، وهذه ضاعت في الحريق الكبير الذي أحدثه قيصر، وإن لم تتلف عند ذلك كان ضياعها فيما بعد في وقت لا يقل عن أربعمائة عام قبل فتح العرب، وأما الثانية وهي: مكتبة السرابيوم فإما أن تكون قد نقلت من المعبد قبل عام 391م، وإما أن تكون قد هلكت وتفرقت كتبها وضاعت، فتكون على أي حال قد اختفت قبل فتح العرب بقرنين ونصف قرن. (29).

ثانياً الأدلة المنطقية :

أما الأدلة المنطقية فقد ذكر أبو الفرج الملطي أن كتب المكتبة اتخذت وقوداً لأربعة آلاف حمام لمدة ستة أشهر، وهذا لا يخضع لأي منطق، ولا يقبله عقل، فليس من المعقول أن يكون في الإسكندرية مثل هذا العدد من الحمامات، ولم يكن بالمكتبة من الكتب ما يستمر وقوداً لهذه الحمامات ستة أشهر، ولو كان عمرو بن العاص أراد فعلاً تدمير المكتبة لاستغرق هذا منه ساعات قليلة، مع العلم بأن الرّق الذي كانت الكتب تسطر عليه في تلك العصور لا يصلح للوقود!! (30).

---

(25) الإفادة والاعتبار لعبد اللطيف البغدادي.

(26) أبو الفرج بن أهرون المعروف بابن العبري وكتابه تاريخ مختصر الدول.

(27) الإسلام وأهل الذمة د علي حسن الخربوطلي صـ 161.

(28) فتح العرب لمصر ألفرد بتلر صـ 419.

(29) انظر في هذا: الإسلام وأهل الذمة د علي حسن الخربوطلي صـ 161، و فتح العرب لمصر ألفرد بتلر صـ 440، 441.

(30) انظر: الإسلام وأهل الذمة د علي حسن الخربوطلي صـ 162، و عمرو بن العاص للعقاد صـ77.

ثالثاً: الأدلة القياسية :

أما الأدلة القياسية فنحن نعرف عن العرب اهتمامهم بالعلم والكتب، وتجلّى هذا في فتوحاتهم في بلاد الشام، فقد احترموا جميع الكتب الدينية، المسيحية واليهودية، فضلاً عن دور العبادة. فما الذي يجعل العرب يحيدون عن سياستهم في الشام أو العراق؟!

ولو كانت هذه المكتبة لا تزال باقية عندما عقد المقوقس صلحه مع العرب على تسليم الإسكندرية، لكان من المؤكد أن تُنقل كتبها، وقد أبيح ذلك في شرط الصلح، الذي يسمح بنقل المتاع والأموال في مدة الهدنة التي بين عقد الصلح ودخول العرب في المدينة، وقدر ذلك أحد عشر شهراً. (31).

وبهذا تفندت شبه المغرضين، وظهر الحق المبين، مما جعل بتلر في كتابه فتح مصر يقول: "ولا بد لنا أن نقول: إن رواية أبي الفرج لا تعدو أن تكون قصة من أقاصيص الخرافة ليس لها أساس في التاريخ" (32).

هذه سماحة العرب الفاتحين وقت الحرب، والتي لم تتغير بعد انتهائها، بل ازدادت إلى الإحسان. فبعد أن استتب الأمر لعمرو وجيش المسلمين عاملوهم بعظمة وسماحة لا تقل عن عظمة الفاتح الجرئ، فإذا هم صالحون للعمار والقرار صلاحهم للهجوم والحصار.

سياسة عمرو بن العاص والتزامه بعهده :

تحدث المؤرخ جوستاف لوبون عن سياسة عمرو بن العاص بعد فتح مصر قائلاً : ودل ما قام به عمرو بن العاص من تنظيم مصر على عظيم حكمته، وعامل عمرو الفلاحين بما لم يعرفوه من العدل والإنصاف منذ زمن طويل، وأنشأ للمسلمين وحدهم محاكم منظمة دائمة، ومحاكم استئناف، فإذا كان أحد الخصوم مصرياً حق للسلطات القبطية أن تتدخل، واحترم عمرو نظم المصريين، وعاداتهم، ومعتقداتهم. وسار عمرو في مصر على غرار عمر بن الخطاب في القدس، فشمل الديانة النصرانية بحمايته، وسمح للأقباط أن يستمروا على اختيار بطرك لهم كما في الماضي، ومن تسامحه أن أذن للنصارى في إنشاء الكنائس في الفسطاط، المدينة الإسلامية التي أسسها. (33).

هكذا تحدث المستشرق الفرنسي عن سياسة عمرو بعد الفتح، فإذا جئنا إلى العرب فقد عدد الأستاذ محمد عزة دروزة الإصلاحات العمرانية والإدارية التي أدخلها عمرو بن العاص في مصر فقال: إنه نظّم الإدارة والقضاء، ووضع خططاً عادلة لجباية الضرائب على قاعدة العدل الذي التزم به، وعني عناية كبيرة بشئون الريّ، وبناء المقاييس على النيل، وإنشاء القناطر، والجسور، والأحواض. فاكتسب بذلك قلوب الأقباط، الذين رأوا عهداً جديداً من الطمأنينة، والحرية، وتعفف الحكام... ومهّد ذلك لاندماجهم في العروبة الصريحة الإسلامية. (34).

---

(31) انظر: الإسلام وأهل الذمة د علي حسن الخربوطلي صـ 162، وفتح العرب لمصر ألفرد بتلر صـ 441.

(32) فتح العرب لمصر ألفرد بتلر صـ 441.

(33) انظر حضارة العرب جوستاف لوبون صـ 215 نقلاً عن: الإسلام وأهل الذمة د علي حسن الخربوطلي صـ 160، 161.

(34) عروبة مصر قبل الإسلام وبعده محمد عزة دروزة صـ 94 نقلاً عن عروبة مصر وأقباطها على طريق مشروع حضاري قومي محمد إبراهيم المرشدي تقديم د محمد عمارة صـ 36 دار الشرق الأوسط للنشر بدون.

وكذلك التزم عمرو بكل بنود العهد الذي أعطاه للمصريين عند الفتح، فلم يكره أحداً على دفع ضريبة، ولم يجبر أحداً على اعتناق دين، وكفل حرية العقيدة، وإقامة الشعيرة للأقباط على حد سواء.

أما عن بناء الكنائس الجديدة فإننا "نعرف من المصادر المختلفة أن كنائس كثيرة بنيت في مصر الإسلامية، كما جددت كنائس أخرى، وذلك منذ فتح العرب لمصر، وبعد أن أصبح الإسلام دين الغالبية العظمى في مصر. ومرّ بنا أنه منذ عودة بنيامين إلى البطريركية في الإسكندرية قام ببناء وتجديد كنائس كثيرة.

ونضيف إلى ذلك أن كنيسة القديس مرقص بنيت في الإسكندرية في ولاية عمرو بن العاص الثانية على مصر، وفي خلافة معاوية بن أبي سفيان (38-43 هـ/658-662م). وفي مدينة الفسطاط العربية الإسلامية التي اختطها العرب عقب فتح مصر بنيت أول كنيسة بعد الفتح العربي بحوالي ستة وعشرين عاماً، وذلك أثناء ولاية مسلمة بن مخلد (47-62هـ/667-682م).

ويخبرنا أبو صالح الأرمني(35) عن بناء كنائس عدة في مصر في الخلافة الأموية بوجه عام، وفي خلافة هشام بن عبد الملك بوجه خاص.

ونحن لا نقوم الآن بعمل حصر للكنائس والأديرة التي بنيت في مصر الإسلامية منذ خلافة عمر بن الخطاب إلى العصر الحديث، لكن الذي نريد أن نقرره من واقع المصادر، ومن واقع حوليات الكنيسة القبطية، ومن الوثائق المختلفة: أن الغالبية العظمى من الكنائس، وبيوت عبادة أهل الذمة في مصر الإسلامية بنيت في العصر الإسلامي، ومنذ خلافة عمر بن الخطاب، وفي ظل تسامح المسلمين. وذلك يوضح لنا مدى الحرية الدينية التي تمتع بها أهل الذمة في مصر، كما يوضح لنا موقف عمر بن الخطاب ، وموقف الصحابة، والتابعين من بناء الكنائس والأديرة في مصر الإسلامية." (36).

وهكذا تحققت للمصريين الحرية الدينية بأكمل معانيها بعد الفتح الإسلامي، فمن جانب عدم التدخل فيما يدينون أو يتمذهبون به، إلى جانب إعادة تجديد ما تهدم من كنائسهم، إلى جانب بناء كنائس جديدة وحمايتها، كل ذلك ما لم يحدث إلا بعد فتح المسلمين لمصر.

أسباب دخول الأقباط في الإسلام :

لقد كان كل ما ذكرناه، وما وجده النصارى من تعاليم إسلامية سامية، وعادلة فرضت على أتباع الإسلام معاملة هؤلاء الناس رغم هزيمتهم بأسلوب لم يألفوه من قبل سبباً من أسباب اعتناق النصارى للإسلام بهذه الجموع الغفيرة، حتى أصبحت مصر في سنين معدودة أغلبية إسلامية ساحقة.

يقول جوستاف لوبون: " لقد أدت السياسة الحسنة للعرب المسلمين في البلاد المفتوحة إلى إقناع أمم كثيرة باعتناق دينهم، ولغتهم، وثقافتهم، فقد تركوا الحرية للشعوب التي فتحوها أن تختار الدين الذي ترغبه، ولم يكرهوهم على اعتناق الإسلام، ولم يشذ عن ذلك أقدم الشعوب كالمصريين، والهنود، والفرس الذين رضوا أيضاً بمعتقدات العرب، وعاداتهم، وفن عمارتهم." (37).

وعلى الرغم من هذا الوضوح الذي ذكره المؤرخ الفرنسي إلا أنه يحلو للبعض أن يصفوا إسلام الشعب المصري بأنه كان خوفاً من سيف العرب، وإكراهاً للمصريين، أو هرباً من دفع الجزية.

---

(35) أبو صالح الأرمني، ويقال له أبو صُلح الأرمني وأبو الصالح الشيخ، قبطي مصري، من أبناء القرنين الثاني والثالث عشر، وهو مؤرخ له كتاب عرف باسمه "تاريخ الشيخ أبي صلح الأرمني" وفيه أخبار مسيحيي مصر في زمانه، مع توصيف لأديارهم وكنائسهم. انظر: موسوعة تاريخ أقباط مصر http://www.coptichistory.org/new_page_119.htm

(36) مصر الإسلامية وأهل الذمة د سيدة إسماعيل كاشف ص 146-148 باختصار.

(37) حضارة العرب جوستاف لوبون ص 628 نقلاً عن: نصارى مصر بين الحقوق والواجبات د عبد الغفار عزيز ص 54.

والحق أن السبب الأول وهو الخوف من السيف أو الإكراه في الدين ليس حقيقياً لما يلي:-

أولاً : إن الإسلام لا يعترف بإيمان المكرَه، فكيف يُكره الناس على الإسلام؟! وكذلك قد أمر الله تعالى بعدم الإكراه (38). فلم يحدث إكراه للمصريين، ولا إرهاب حتى يتحولوا إلى الإسلام.

ثانياً : إن الشعب المصري -كما سبق- قدّم آلاف الشهداء أمام اضطهاد الوثنيين، والمسيحيين الغربيين، فكيف يلين بهذه السهولة أمام العرب الفاتحين؟!

ثالثاً : لم يثبت في تاريخ الكنيسة، ولا عند أحد المؤرخين حادثة واحدة تثبت أن العرب أجبروا أحداً على اعتناق دينهم. (39).

أما السبب الثاني وهو الخوف والفرار من دفع الجزية التي لم تزد عن دينارين، والتي عفي منها الشيخ الكبير، والمرأة العجوز، أو أصحاب الفقر والمرض فإن ذلك ليس سبباً ؛ لأنه وإن خاف من دفع دينارين، فسيدخل في الإسلام ويدفع الزكاة عن ماله، وأرضه، وذهبه أكثر من ذلك بكثير.

ولذلك يحسن هنا أن نذكر أسباب انتشار الإسلام الفعلية التي من أجلها دخل المصريون في دين الله.

1 – وضوح التوحيد الإسلامي، وبساطته، وعمقه، ونقاؤه عندما يقارن بالسفسطة المذهبية، والتعقيدات العويصة التي جلبتها الفلسفة الهيلينية إلى اللاهوت المسيحي، الأمر الذي أدى إلى خلق شعور من اليأس، بل زعزع أصول العقيدة الدينية ذاتها. فلما هلّت أنباء الوحي الإسلامي من الصحراء لم تعد المسيحية قادرة على مقاومة إغراء هذا الدين الجديد.. وحينئذ ترك الشرق المسيح، وارتمى في أحضان نبي العرب.(40).

2 – المبادئ المشتركة التي تقرّب الإسلام من المسيحية، فقد رأى المسيحيون في الإسلام توحيداً صحيحاً، واحتراماً للمسيح –عليه السلام- ولأمه، ولكل الأنبياء السابقين. (41).

3 – كان المصريون أهل حضارة، وبالتالي كان من السهل عليهم أن يستشعروا صدق الدعوة الإسلامية، وعقيدتها في صورتها البسيطة غير المعقدة.. واعتنقت مصر الإسلام، ولم يكن جديداً عليها، فمضامينه، وقيمه نفذت إليها من قبل بالفطرة السليمة، والدفع الحضاري، فكثير من القيم التي أدركها المصري القديم بفطرته أكدها القرآن الكريم في آية واحدة في قوله تعالى سورة النساء: 39.

4 – لم يجعل العرب من أنفسهم طبقة حاكمة تستأثر بالسلطة، فقد أشركوا المصريين معهم في كافة الوظائف حتى العليا منها، وولّى المأمون على إحدى مدن مصر حاكماً مسيحياً ظل محتفظاً بمسيحيته. ومثل تلك السياسة لا بد أن تقنع الكثيرين من الأقباط بالدخول في الإسلام. (42).

5 – ضيق أقباط مصر بالخلافات المذهبية التي استحكمت في المسيحية، ونشرت البلبلة والجدل في مواجهة العقيدة الإسلامية التي تنأى عن الجدل (43).

---

(38) سورة البقرة : 256.

(39) انظر : مسلمون وأقباط من المهد إلى اللحد جمال بدوي صـ 94.

(40) حقيقة إسلام الشعب المصري مقال للدكتور محمد عمارة صحيفة المصريون الإليكترونية بتاريخ 2008/10/29م.

(41) انظر: المسيحية والحضارة العربية الأب الدكتور جورج شحاتة قنواتي صـ 37 المؤسسة العربية للدراسات والنشر بدون.

(42) انظر: الشخصية المصرية د فاروق محمد العدلي وسعد رمضان صـ 60، 62، 65، 90 نقلاً عن: عروبة مصر وأقباطها على طريق مشروع حضاري قومي محمد إبراهيم المرشدي صـ 34.

(43) المرجع السابق صـ 36، وانظر: عروبة مصر قبل الإسلام دراسة تاريخية أنثربولوجية أركيولوجية د عبد الفتاح مقلد الغنيمي صـ 167، 168 شركة دار الاشعاع للطباعة 1412 هـ - 1993م.

هذا ولم يكن دخول الأقباط والمصريين في الإسلام دفعة واحدة. وفي الإمكان تتبع عملية الانتشار التدريجي للإسلام كما رصدها الدكتور شكري فيصل في كتابه { المجتمعات الإسلامية في القرن الأول} من خلال ما جمع من أنباء الفتح، وما تلاه من أحداث، وأول ذلك أن طائفة من الأسرى المصريين أخذهم المسلمون من قراهم بعد أن انقلبوا عليهم، فأغضب ذلك الخليفة عمر بن الخطاب، ونادى نداءه: **{ لا فيء ولا عبيد}** فخُيّر هؤلاء الأسرى بين الإسلام والنصرانية، فاختار الإسلام منهم كثير – على ما يذكر الطبري– فكان إسلام هؤلاء الأسرى يمثل الدفقة الأولى التي انثالت بعد ذلك وشقت طريقها إلى الإسلام.

وإلى جانب هذه الدفقة الأولى كانت هناك حركة فردية بين المفكرين في تقبل الإسلام. ولم يكن القبط وحدهم في مصر، وإنما كان الروم، ومنهم قلة مسالمة دخلت فيما دخل فيه القبط من الذمة، وقد أسلم بعضها، أو كثير منها لأنها كانت تعيش في لون من الغربة النفسية دفعت بها إلى أحضان الإسلام. (44).

" ويقرر المؤرخون أن معدل دخول الأقباط في الإسلام ظل يضطرد حتى بلغ في الفترة من (124– 128 هـ / 74 – 745م) أربعة وعشرين ألف قبطي، وفي عام (138 هـ / 755م) زاد المعدل كثيراً، حتى لقد أسلم في قليوب وحدها 450 شخصاً في يوم واحد"(45). " وشمل انتشار الإسلام كل طبقات المجتمع القبطي، ومنهم فريق من الرهبان مثل يوحنا أحد رهبان دير سيناء، ومن المفكرين العقلاء، ومن الأشراف، ومن العامة.

وكان انتشار الإسلام في المدن قبل أن يكون في القرى؛ وذلك يرجع إلى انتشار المسلمين في المدن المختلفة من ناحية، وإلى ما يكون من قدرة أهل المدن على الاستجابة للدعوات من ناحية أخرى." [(46)].

وهكذا شاء الله أن يدخل الشعب المصري في دين الله أفواجاً، حتى لا ينكر أحد فضل الإسلام، والفاتحين العرب على مصر، التي تَحَقّق أهلها بمجموعة من الفوائد العظيمة من جراء الفتح الإسلامي لها. فقد استطاعوا لأول مرة أن يتمتعوا بحريتهم الدينية دون أي تدخل في عقيدتهم، أو ما يتمذهبون به من مذاهب مختلفة. ولم يكن الفتح الإسلامي لمصر دعوة للتخلي عن دين المسيح –عليه السلام– وإنما كان دعوة للالتزام بحقيقة دين المسيح، ومن هنا لم يكن غريباً أن يمثل هذا الفتح إحياء حقيقياً لنصرانية الأقباط المصريين. كذلك استطاع الأقباط ولأول مرة منذ الاحتلال أن يشاركوا في حكم البلاد، بعد أن أشركهم العرب المسلمون في السياسة والحكم، فاحتكروا الوظائف الحكومية، فكان منهم النسّاخ، وجامعي الضرائب.... إلخ

هذا على مجال المصريين عامة والنصارى بخاصة، أما عن أثر الفتح على الكنيسة المصرية، فقد استطاعت أن تسترد ما نهب منها من أموال، كما كانت إعادة بناء ما تهدم من الكنائس في عهد الرومان من السهل اليسير في ظل الحكم الإسلامي، بل ومنذ عودة الأب بنيامين، وتمتعه بالأمان الإسلامي. ولأول مرة منذ احتلال الإغريق لمصر تمتعت الكنيسة بعلاقة قوية وطيبة مع الدولة الحاكمة لتكون للأخيرة السلطة السياسية، و للأولى السلطة الدينية على رعاياها دون تدخل أو تعسف، واستطاعت أن تختار رجال دينها بحرية مطلقة دون تدخل من الحكام.

المبحث الثالث: معاملة غير المسلمين في ظل الدولة الإسلامية

بإمكاننا تتبع مراحل التاريخ المختلفة في مصر بعد الفتح الإسلامي في عهد الخلفاء الراشدين وحتى آخر عصر الدولة العثمانية؛ لنرى كيف عاش النصارى في ظل وكنف المسلمين مع التركيز على عصر الخلافة الراشدة والخلافة العثمانية كما يلي:

عصر الخلافة الراشدة:

(44) مسلمون وأقباط من المهد إلى اللحد جمال بدوي صـ 101 – 103 باختصار.

(45) عروبة مصر وأقباطها على طريق مشروع حضاري قومي محمد إبراهيم المرشدي صـ 36.

(46) الإسلام وأهل الذمة علي حسن الخربوطلي صـ 163 باختصار.

لقد استطاع عمر بن الخطاب –رضوان الله عليه– أن يؤسس تسامحاً كبيراً لعهد الخلفاء الراشدين مع أهل الذمة بصفة عامة، والنصارى بصفة خاصة، وسار عليه من بعده سيدنا عثمان بن عفان –رضوان الله عليه– وسيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. فاستطاع أهل الذمة في عصر الخلفاء الراشدين الوصول إلى أرفع المناصب دون حرج، أو تعب، واستمتعوا بدفع دراهم معدودة من الجزية عفي منها الشيوخ، والنساء، والأطفال، وأصحاب الأمراض والفقر.

" لقد لعب المصريون دوراً لا يستهان به في إدارة البلاد في عصر ولاة الخلفاء الراشدين، وتشير بعض أوراق البردي إلى أسماء حكام أقاليم وموظفين من القبط منذ السنوات الأولى للحكم الإسلامي في مصر، ويرجع تاريخ هذه الأوراق إلى سنة 22هـ/642م وكل الدلائل تشير إلى اختيار ولاة مصر خلال هذه الفترة أقباطاً للعمل في مختلف الوظائف، فكان منهم الكتّاب، وعمال الدواوين، وحكام الأقاليم، بل وأيضاً عمال الخراج." (47).

العصر العثماني :

تمتع المسيحيون في جميع أركان الخلافة العثمانية بسماحة فائقة، وفي الشرق والغرب اتضحت هذه السماحة الإسلامية مما جعل الكثيرين من النصارى يقدمون على الإسلام في ظل الحكومة العثمانية. وتحت عنوان: علاقات الأتراك برعاياهم المسيحيين قائمة على التسامح كتب المؤرخ توماس أرنولد يقول: "باشر العثمانيون السلطة على الرعايا المسيحيين منذ الأيام الأولى التي قاموا فيها بتوسيع مملكتهم في أسيا الصغرى. ولم تكد حاضرة الإمبراطورية الشرقية القديمة تسقط في أيدي العثمانيين سنة 1453م حتى توطدت العلاقات بين الحكومة الإسلامية والكنيسة المسيحية بصفة قاطعة، وعلى أساس ثابت. ومن أولى الخطوات التي اتخذها محمد الثاني بعد سقوط القسطنطينية، وإعادة إقرار النظام فيها أن يضمن ولاء المسيحيين بأن أعلن نفسه حامي الكنيسة، فحرم اضطهاد المسيحيين تحريماً قاطعاً، ومنح البطريق الجديد مرسوماً يضمن له، ولأتباعه، ولمرءوسيه من الأساقفة حق التمتع بالامتيازات القديمة، والموارد، والهبات التي كانوا يتمتعون بها في العهد السابق." (48). فأتاح العثمانيون للنصارى الحرية في كافة الشئون ما داموا يدفعون الجزية، كما لم يتدخل العثمانيون في سياستهم الداخلية، ولا في اختيار الأساقفة والبطاركة. "وهناك وثيقة تاريخية كتبها بطريق أنطاكية اعترف فيها بتسامح العثمانيين، جاء فيها: أدام الله دولة الترك خالدة إلى الأبد، فهم يأخذون ما فرضوه من جزية، ولا شأن لهم بالأديان، سواء أكان رعاياهم مسيحيين، أم يهوداً أو سامرة"(49).

وقد أدى هذا التسامح إلى دخول أعداد كبيرة من المسيحيين في الإسلام. فيقول أرنولد: "وكثيراً ما انحاز الأمراء البيزنطيون وغيرهم إلى صفوف المسلمين، ووجدوا منهم ترحيباً كبيراً... وأصبح الدين الإسلامي في ذلك الحين الملجأ الطبيعي لأفراد الكنيسة الشرقية." (50).

وقد كان القرن التاسع عشر قرن التحول الكبير في موقف الدولة العثمانية من الملل المذهبية، وقننت العلاقة بينهما، حيث صدرت القوانين الأساسية التي نظمت أوضاع هذه الملل، وحققت المساواة لجميع المواطنين، وذلك بصدور خط شريف كولخانة عام 1839م، الذي ألغى نظام الذمة، وأعلن المساواة بين جميع أفراد الإمبراطورية مسلمين وغير مسلمين، سواء بالنسبة

(47) أهل الذمة في المجتمع الإسلامي د حسن علي حسن صـ 129، 130.

(48) الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية تأليف توماس . و . أرنولد ترجمه إلى العربية وعلق عليه د حسن إبراهيم حسن، و د عبد المجيد عابدين، و د إسماعيل النجراوي صـ 170 مكتبة النهضة المصرية 1971.

(49) الإسلام وأهل الذمة د علي حسن الخربوطلي صـ 154.

(50) الدعوة إلى الإسلام توماس أرنولد صـ 176 باختصار.

إلى سلامتهم الشخصية، وكرامتهم، وأموالهم، أو بالنسبة إلى تكليفهم بالضرائب، أو بالنسبة إلى الخدمة العسكرية ومدتها، مع تأكيد تلك الامتيازات التي تمتعت بها الكنيسة تحت الحكم المصري، كما منع أية غرامة تفرض على الأديرة، والحجاج المسيحيين.

وفي عام 1856م صدر خط شريف عرف باسم الخط الهمايوني، الذي أكد إصلاحات خط كولخانة، وعمقها، ووسعها، ففتح باب الوظائف العامة، والمدارس المدنية والعسكرية أمام الجميع من دون تفرقة، ووحد التشريع المتعلق بشراء وبيع الأملاك العقارية بين الجميع، وأكد احترام امتيازات الطوائف الدينية، ورؤسائها، وحقها بالتملك، بل أجرى تعيين ممثلين لمختلف الطوائف لدى الباب العالي، يتولون المشاركة في مجلس العدل الأعلى في كل الشئون المتعلقة بعموم رعايا الإمبراطورية.

ورغم أهمية صدور خط شريف كولخانة، وخط شريف همايون، وما تضمناه من تغييرات مهمة، فإن الإصلاح الأهم في عهد العثمانيين كان في صدور مرسوم 1876م، الذي نص على أنه يدعى جميع رعايا السلطنة عثمانيين أيًا كان الدين الذي يعتنقون، وتحمي الدولة الممارسة الحرة لكل الأديان المعترف بها في السلطنة، وتحافظ على الامتيازات الدينية المعطاة لمختلف الملل منذ القدم، وأن جميع العثمانيين متساوون أمام القانون، ويتولون الوظائف العامة بصرف النظر عن دينهم. (51).

ومن هذه الجولة السريعة في كتب التاريخ نلمس بوضوح كيف عامل الحكام والخلفاء المسلمون النصارى في مصر، وكيف شارك النصارى في إدارة شئون البلاد، واستطاعوا الوصول إلى أعلى المراتب والدرجات، كما شغلوا مناصب الوزراء، والكتّاب، وهذا كله يؤكد مدى التسامح الذي عاشه النصارى في مصر في ظل الحكومات الإسلامية. على أن هذه المعاملة من الحكام لم تكن وليدة أفكارهم، ولا لتسامح شخصي، وإنما كانت راجعة لسماحة الإسلام، وإلى اعترافه بحق العمل لغير المسلمين. بل قد بلغ تسامح المسلمين أحياناً إلى حد المبالغة، والجور على حقوق المسلمين، مما جعل المسلمين في بعض العصور يشتكون من تسلط اليهود والنصارى عليهم بغير حق.

يقول الأستاذ متز: "إن مما يميز المملكة الإسلامية عن أوربا النصرانية في القرون الوسطى أن الأولى يسكنها عدد كبير جداً من معتنقي الأديان الأخرى غير الإسلام، وليست كذلك الثانية، وأن الكنائس والبيع ظلت في المملكة الإسلامية كأنها خارجة عن سلطان الحكومة، وكأنها لا تكون جزءًا من المملكة، معتمدة في ذلك على العهود وما أكسبتهم من حقوق، وقضت الضرورة أن يعيش اليهود والنصارى بجانب المسلمين، فأعان ذلك على خلق جو من التسامح لم تعرفه أوربا في القرون الوسطى."(52).

أما اللورد كرومر، العميد البريطاني في مصر في زمن الاحتلال البريطاني في تاريخنا المعاصر، والذي عاش فيها أربعاً وعشرين سنة إلى أن رحل عنها في أوائل القرن العشرين في مايو 1907م فقد أعلن الفرق الوحيد بين المسلم والنصراني في مصر في ظل الحكومات الإسلامية في هذه العبارة: " الفرق الوحيد بين القبطي والمسلم في مصر هو أن الأول مصري يعبد الله في كنيسة مسيحية في حين أن الثاني مصري يعبد الله في مسجد مسلم." (53).

وإذا كان المنهاج الأفعل في الاستدلال على ما مضى هو شهادات النصارى أنفسهم، بل ونصارى مصر على وجه التحديد عن الإسلام، وخلفائه، وتاريخه فإن للبابا شنودة الثالث شهادة من المهم استدعاؤها، وإعادة تسجيلها في هذا المقام.. وهذه الشهادة هي نصوص من خطبة البابا شنودة يوم 11 أكتوبر سنة 1977م أمام الرئيس أنور السادات بمناسبة وضع حجر الأساس لمستشفى "مار مرقس" بالقاهرة. ولقد أعادت نشرها مجلة {وجهات نظر} عدد ديسمبر 2005م.

---

(51) انظر: العرب النصارى عرض تاريخي حسين العودات ص 168-173 الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع دمشق الطبعة الأولى 1992م.

(52) الإسلام والصراعات الدينية حافظ عثمان ص 258.

(53) cromer (lord) : modern Egypt vol.II p.206 (London) 1908. نقلاً عن: مصر الإسلامية وأهل الذمة د سيدة إسماعيل كاشف ص17.

وفي هذه الشهادة يقول البابا شنودة عن التاريخ الإسلامي: " في تلك العصور نجد تمازجاً قد حدث بين المسلمين والمسيحيين، وظل التمازج ينمو شيئًا فشيئًا حتى وصل إلى حالة من الوحدة.. فلنا في التاريخ الإسلامي صداقات كثيرة بين حكام المسلمين وبين المسيحيين، ونراهم قد اعتمدوا عليهم في ميادين عدة، لعل من أبرزها: التعليم، والطب، والهندسة، والأمور المالية" فالتاريخ الإسلامي –برأي البابا شنودة– قد صنع نسيجاً واحدًا امتزج فيه المسلمون والمسيحيون.. ووصلت علاقات الحكام المسلمين بالنصارى إلى درجات "الصداقة" وليس فقط "القبول". ثم تحدث البابا شنودة عن أمثلة التسامح المختلفة بقوله: "هكذا كان المسلمون يسلكون في العدل بين رعاياهم أيًا كان مذهبهم". ثم تحدث بالتفصيل عن الخلافة الراشدة، وعهد سيدنا عمر وعثمان وعلي، وكذلك أثنى على الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، وهشام بن عبد الملك، والدولة الأموية عامة، ثم الطولونية والأخشيدية، والفاطمية معددًا سماحتهم، وحسن معاملتهم للنصارى في مصر. (54).

الخاتمة

بعد هذه الجولة السريعة مع فتح مصر نستطيع أن نستخلص النتائج الأتية:

1- كان فتح مصر فيه خير كثير للمصريين؛ حيث تخلصوا من الصراعات الدينية والمذهبيةالمسيحية المنتشرة في ذلك الوقت.
2- لأول مرة بعد الفتح الإسلامي يأمن المصريون على أنفسهم ودينهم وكنائسهم.
3- استطاع النصارى أن يضمنوا الحماية لقساوستهم وأديرتهم في ظل الحكم الإسلامي.
4- كانت وثيقة سيدنا عمر لأقباط بمصر بمثابة الدستور العالمي لحقوق الإنسان في مجال الحريات والأديان.
5- دخل النصارى في دين الله أفواجًا لما رأوه من سماحة الإسلام وتعامل المسلمين.
6- تمتع أهل الكتاب من اليهود والنصارى بمكانة كبيرة لدى مختلف الحكومات الإسلامية منذ عهد الخلافة الراشدة حتى عصر الخلافة العثمانية، وشغلوا العديد من مناصب الدولة الإسلامية الكبرى كالوزير والكاتب ...إلخ دون تغيير دينهم أو عقيدتهم.

المراجع

ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ 2 صـ 396 بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن عبد الحكم تحقيق عبد المنعم عامر، فتوح مصر والمغرب، الهيئة العامة لقصور الثقافة، بدون السنة.

ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، بدون السنة.

ابن كثير، البداية والنهاية،بيروت لبنان: دار ابن كثير، بدون السنة.

أبو الفرج بن أهرون المعروف بابن العبري وكتابه تاريخ مختصر الدول.

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، القاهرة: دار المعارف، الطبعة الرابعة.

الإخوان و الأقباط من يطمئن من عامر شماخ، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، 1429هـ - 2008م.

إدوار غالي الذهبي، معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، مكتبة غريب الطبعة الأولى، 1993م

الأستاذ محمد علي الغتيت، الغرب والشرق من الحروب الصليبية إلى حرب السويس (المرحلة الأولى).

الإسلام وأهل الذمة د علي حسن الخربوطلي، بدون السنة.

(54) انظر : هكذا شهد البابا شنودة بعدالة الإسلام مقال للدكتور محمد عمارة صحيفة المصريون الإليكترونية بتاريخ 2009/6/1، 2009/6/8م.

ألفرد بتلر، فتح العرب لمصر، بدون السنة.

ألفرد بتلر، فتح العرب لمصر.

البلاذري، فتوح البلدان، بدون السنة.

توماس و أرنولد ترجمه إلى العربية وعلق عليه د حسن إبراهيم حسن، و د عبد المجيد عابدين، و د إسماعيل النجراوي، الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، 1971.

جمال بدوي، مسلمون وأقباط من المهد إلى المجد، دار الشروق، الطبعة الأولى، 1420هـ - 2000م.

جمال عبد الهادي، فتح مصر، بدون السنة.

جورج شحاتة قنواتي، المسيحية والحضارة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بدون السنة.

جوستاف لوبون نقله إلى العربية محمد عادل زعيتر، حضارة العرب، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1945م.

حافظ عثمان، الإسلام والصراعات الدينية.

حامد سليمان، من القبطية إلى الإسلام قصة فتح مصر، بدون السنة.

حسن علي حسن، أهل الذمة في المجتمع الإسلامي، القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1426هـ - 2005م.

حسين العودات، العرب النصارى عرض تاريخي، دمشق: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1992م.

سيدة إسماعيل كاشف، مصر الإسلامية وأهل الذمة، الهيئة العربية العامة للكتاب 1993م.

صبري أبو الخير سليم، تاريخ مصر في العصر البيزنطي، القاهرة :طبعة، 2001م.

عبد الغفار عزيز، نصارى مصر بين الحقوق والواجبات، دار الحقيقة للإعلام الدولي بدون السنة.

عبد الفتاح مقلد الغنيمي، عروبة مصر قبل الإسلام دراسة تاريخية أنثربولوجية أركيولوجية، شركة دار الاشعاع للطباعة 1412

علي حسن الخربوطلي، الإسلام وأهل الذمة وما بعدها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة التعريف بالإسلام، الكتاب التاسع والأربعون 1389هـ 1969م

عمرو بن العاص، للعقاد، بدون السنة.

ليوحنا النقيوسي، تاريخ مصر، بدون السنة.

محمد إبراهيم المرشدي تقديم د محمد عمارة، عروبة مصر وأقباطها على طريق مشروع حضاري قومي، دارالشرق الأوسط للنشر ، بدون السنة.

محمد الأزدي البصري نقلاً عن: سماحة الإسلام د أحمد الحوفي، فتوح الشام، القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة التعريف بالإسلام، 1420هـ

محمد الغزالي، التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، القاهرة : نهضة مصر الطبعة الثالثة، 2003م.

محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس، الطبعة السادسة، 1407هـ - 1987.

محمد عمارة صحيفة المصريون، حقيقة إسلام الشعب المصري، المقالة الإليكترونية بتاريخ 2008/10/29م.

محمد عمارة، هكذا شهد البابا شنودة بعدالة الإسلام، مقال صحيفة المصريون الإليكترونية بتاريخ 2009/6/1، 2009/6/8م.

موسوعة تاريخ أقباط مصر، http://www.coptichistory.org/new_page_119.htm

وليم سليمان قلادة، المسيحية والإسلام في مصر ودراسات أخرى، سينا للنشر الطبعة الثانية 1993م.

يوسف القرضاوي، الأقليات الدينية والحل الإسلامي، مكتبة وهبة الطبعة الأولى 1417هـ - 1996م.